



قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



السيدة عائشة



المحتويات

- 3.....مقدمة
- 4.....سن السيدة عائشة عند الزواج
- 6.....عائشة اختيار الله لرسوله
- 7.....عائشة العاقلة
- 9.....عائشة المباركة
- 12.....عائشة البليغة
- 14.....عائشة حبيبة رسول الله
- 17.....بين الرضا والغضب
- 18.....غيرة عائشة
- 20.....حادثة الافك
- 24.....حُكم الإسلام فيمن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة
- 25.....هل كان هناك عداوة بين عائشة وعلى ؟
- 28.....بيت عائشة
- 29.....عائشة الزاهدة
- 30.....وفاة عائشة

كانت عائشة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق اختياراً إلهياً لرسوله ولأمة الإسلام كلها... فهي لم تعقل الدنيا إلا وأبواها مسلمان فنشأت مسلمة في بيت مسلم، ثم انتقلت لبيت النبوة تنتسب من علم النبوة. وينتقل عليه السلام إلى الرفيق الأعلى لتبقى هي من بعده في قمة الشباب وموفور العقل، متفرغة لحمل أمانة التبليغ عن رسول الله ﷺ حتى السنة الثامنة والخمسين من الهجرة، حتى قالوا إن رُبَّ الأحكام الشرعية جاءت عن عائشة.

قال الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه:

مَا أَشْكَرَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَنْهُ عَائِشَةَ، إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا. صحيح الترمذي

لقد كانت حياتها صورة صادقة لحياة المرأة المسلمة كما أرادها الإسلام حقاً، ولا نجاوز الحد إذا قلنا إن السيدة عائشة هي أبرز امرأة في تاريخنا الفكري والاجتماعي والسياسي؛ وأنها أفقه نساء الأمة على الإطلاق، وروى عنها خلق لا يُحصون من علماء الأمة ورواتها. قال الحافظ الذهبي: مُسْنَدُ عَائِشَةَ (أي الأحاديث التي روتها) يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث؛ اتفق البخاري ومسلم لها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين.

سن السيدة عائشة عند الزواج

وعائشة ولدت مسلمة لأبوين مسلمين، وهى الوحيدة من أمهات المؤمنين التي أبوها وجدها صحابيان، ولم يتزوج النبي امرأة أبوها مهاجران سواها، ولم يتزوج النبي بكرة غيرها، ولا أحب امرأة حبها. قال الإمام الذهبي شيخ المؤرخين:

ولا أعلم في أمة محمد ولا في النساء مطلقا امرأة أعلم منها

تزوجها رسول الله ﷺ في السنة الثانية من الهجرة بعد غزوة بدر، وسنها على الأرجح بين 14-17 عام، وهذا هو الأصح رغم ما يشاع من أنه تزوجها وعمرها تسع سنوات وخطبها وعمرها ستة أعوام!! وللأسف ورد هذا الكلام في رواية للبخاري، إلا أن هذه الرواية تتعارض مع روايات أخرى كثيرة، بعضها في البخاري أيضا (ويمكن الرجوع إليها في الأبحاث الخاصة بعمر السيدة عائشة).

فمن ذلك حديث أنس بن مالك قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ (وهي أم أنس بن مالك راوى الحديث) وَإِنَّهُمَا لَمُشَمَّرَتَانِ، تَنْقُلَانِ الْقِرْبَ عَلَى ظَهْرِهِمَا، ثُمَّ تُقْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَأْنِيهَا، ثُمَّ تَحْيِيَانِ فَتُقْرِغَانِيهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ. **رواه البخاري.** وقد رد الرسول ﷺ يوم بدر ويوم أحد شبابا من أصحابه كانوا في سن الرابعة عشر، فهل رد ﷺ هؤلاء الشباب وسمح لعائشة وهى بنت 10 سنين في

زعمهم أن تخرج يوم أحد مع الجيش بعد زواجه منها بسنة واحدة؟ هذا بالتأكيد لا يعقل، وهذا ما يؤكد ما ذكره الكثيرون من أن عمرها يوم أحد كان لا يقل عن 17 عاما.

وقياساً على عمر أختها أسماء بنت أبي بكر، والتي هي أسن منها بعشر سنين، وقد توفيت أسماء عام 73هـ وعمرها 100 عام فيكون سن أسماء عام الهجرة 27 سنة، وسن عائشة عام الهجرة 17 سنة، أي أنه صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوج عائشة بالمدينة وعمرها 18 سنة.

ونشير أيضاً إلى أنها كانت مخطوبة لابن المطعم بن عدي قبل أن يخطبها رسول الله صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتى أبو بكر المطعم بن عدي، فقال: مَا تَقُولُ فِي أَمْرِ هَذِهِ الْجَارِيَةِ؟ فسأل المطعم زوجته، فقالت لأبي بكر: لَعَلَّنَا إِنْ أَنْكَحْنَا هَذَا الْفَتَى إِلَيْكَ تَدْخُلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، فرأى أبو بكر في ذلك إبراءً لزمته من خطبة المطعم لعائشة. فهل كانت مخطوبة لابن المطعم بن عدي وعمرها أقل من أربع سنوات مثلاً؟ هذا بالطبع لا يقبله عقل.

وبالتالي تصبح رواية البخاري التي ذكرت أن الرسول تزوجها وعمرها 9 سنوات رواية مرفوضة متناً ومضطربة حتى لو صحت سنداً، وهذا لا يقدر في قيمة صحيح البخاري، لكنه ليس قرآناً والخطأ فيه وارد من قبل بعض الرواة.

عائشة اختيار الله لرسوله

روى الترمذى أن جبريلَ جاء بِصُورَتِهَا فِي قِطْعَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. **رواه البخاري بلفظ قريب.**

وعائشة لم تتميز فقط بكونها الزوجة البكر الوحيدة كما قالت: لَقَدْ تَزَوَّجَنِي بِكْرًا وَمَا تَزَوَّجَ بِكْرًا غَيْرِي، بل هي أيضا الوحيدة التي رأت جبريل عليه السلام مباشرة، فعن مسروق (مولى عائشة) قال: قالت لي عائشة رضى الله عنها: لقد رأيت جبريل واقفا في حجرتي على فرس، ورسول الله ﷺ يناجيه، فلما دخل قلت: يا رسول الله، من هذا الذي رأيتك تتاجيه؟ قال: "وهل رأيتَه؟" قلت: نعم. قال: "فبمن شبَّهتَه؟" قلت: بدحية الكلبي. قال: "لقد رأيت خيرا كثيرا، ذاك جبريل". قالت: فما لبثتُ إلا يسيرا حتى قال:

"يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام". قلت: وعليه

السلام، جزاه الله من دخیل خيرا" متفق عليه

ولما كانت عائشة هي البكر الوحيدة بين نساءه فكانت تتدل بذلك أمام رسول الله في بلاغة وأدب رفيع المستوي، حيث تقول: يا رسول الله: أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلَتْ وادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أَكَلَ مِنْهَا، وَوَجَدَتْ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتَعُ بِعَيْرِكَ؟ قال: في الذي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا قالت: " فأنا هي " **صحيح البخاري**، تعني أنه ليس من زوجاته إلا من تزوجت قبله.

عائشة العاقلة

كان أبرز ما يميز السيدة عائشة أنها كانت عاقلة حكيمة، وكان من كمال عقلها أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تقتنع به عقلاً إلا راجعت فيه الرسول حتى تعرفه ويفسر له، فحين ذكر الرسول يوماً أمامها أنه ليس أحد يحاسب إلا هلك، لم تستطع أن تقبل ذلك بعقلها بسهولة، فراجعت النبي بأدب وقالت: يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ فقال صلى الله عليه وسلم: ذاك العرض يُعرضون، ومن نُوقش الحساب هلك. رواه البخاري يعني أنه في مرحلة العرض يأخذ كل إنسان مؤمن كتابه بيمينه، ويعرض عليه ما فيه بحساب يسير ليطمئن أن كل عمل عمله في الدنيا مسجل ومدون، ثم في مرحلة لاحقة إذا نُوقش في تفاصيل كتابه فهنا يعذب.

وحين سمعت عائشة رضى الله عنها الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، قالت بعفوية: إننا نكره الموت فهل هذا يعني أننا نكره لقاء الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرِينَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ. رواه مسلم.

وهناك مواقف كثيرة تثبت كمال عقل عائشة وهى تسأل، وكمال عقلها وهى تراجع الرسول في أقواله لتسأل وتفهم، ولا تستحي أن تجادل وتتأقش.

كما كانت عائشة جريئة ذات شخصية مستقلة لا تنتظر من يوجهها، وكان هذا شيء ملفتا في بيئتها، فتحكى عائشة موقف لها في غزوة الخندق، فنقول: حَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو أَتَرَ النَّاسِ، فهى تريد أن تعرف أخبار رسول الله وأخبار المسلمين في الحصار، تقول: فَأَقْتَحَمْتُ حَدِيقَةً، فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ: وَيْحَكَ مَا جَاءَ بِكَ لِعَمْرِي وَاللَّهِ إِنَّكَ لَجَرِيئةٌ، مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ بَلَاءٌ أَوْ خَطَرٌ، قَالَتْ: فَمَا زَالَ يَلُومُنِي حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنْ الْأَرْضَ قَدْ انْشَقَّتْ فَدَخَلْتُ فِيهَا، فما أسكته إلا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ (وهو زوج أم كلثوم بنت أبي بكر، أخت عائشة) فقال مدافعا عن عائشة: وَيْحَكَ يَا عُمَرُ، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ الْيَوْمَ، وَأَيْنَ الْفِرَارُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ؟. أي أن المؤمن حتى مع الحذر، يجب أن يؤمن أنه لا فرار من قدر الله.



عائشة المباركة

من بركة السيدة عائشة أن هنالك الكثير من أحكام الإسلام ارتبطت في أسبابها بالسيدة عائشة، فمن ذلك أن المسلمين خرجوا في غزوة وهي معهم ، فانقطع عقدها، فأقام الرسول يلتمسه حتى طلع الفجر وليس معهم ماء للوضوء. تقول السيدة عائشة: فلقيت من أبي ما الله به عليم من التعنيف، وقال: في كل سفر للمسلمين منك عناء وبلاء (يشير إلى ما كان منها في حادث الإفك) فأنزل الله في هذه الغزوة رخصة التيمم في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [٤٣] فقال أبو بكر لعائشة بعد نزول هذه الرخصة للمسلمين:

والله ما علمت يا بنية إنك لمباركة،

إذ جعل الله للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر. وكان أسيد بن حضير يقول لها: جزاك الله خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجًا، وجعل للمسلمين فيه بركة" متفق عليه.

ومن بركة السيدة عائشة أن النساء كن يأتين إليها يشكين أزواجهن لترفع شكواهن للرسول فينزل الوحي في حجرتها بحل المشكلة، كما حدث في مشكلة تعدد مرات الطلاق، حيث جاءت امرأة إليها تقول إن

زوجها قال لها: " والله لا أطلقك فتتزوجين بعدى ولا أؤيك " ، فقالت عائشة: وكيف له ذلك؟ قالت المرأة: يُطلقني حتى إذا قربت العدة يرُدني ثم يُطلقني وهكذا. ولم تكن الآية التي تحدد عدد مرات الطلاق قد نزلت بعد، فنزلت في حجة عائشة آيات من سورة البقرة: ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾ (٢٣) ، فلم يعد ممكنا للرجل أن يطلق امرأته ثم يردها، ثم يطلقها، ثم يردها إلى ما لانهاية.

كما ارتبط أيضا بعائشة حكم الظهار (وهو أن يقول الرجل لزوجته أنت مُحَرَّمَةٌ عَلَيَّ كظهر أمي ولا يطلقها)، فقد جاءت خولة بنت ثعلبة إلى بيت عائشة تشكو زوجها وتقول: يا رسول الله، أَكَلَّ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي (بمعنى أنجبت له الكثير من الأولاد)، حَتَّى إِذَا كَبُرْتُ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي (أي حرم على نفسه معاشرتها). ثم توجهت إلى الله بالدعاء فقالت: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ. فما قامت من مجلسها في حجة عائشة حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِآيَاتِ سُورَةِ الْمَجَادِلَةِ وَفِيهَا تَحْرِيمُ هَذَا الْفِعْلِ. ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ مَخَاوِرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴾ (٢) ﴿ **صحيح ابن ماجه** ﴾

وفي هذا الحديث تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

”تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لِأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ
ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ وَأُنِّي فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ،

وقد سمعها الله من فوق سبع سموات

وهنا يظهر جليا الحس الإيماني المرهف من للسيدة عائشة وهي تنبه
إلى قدرة الله سبحانه الذي سمع المرأة من فوق سبع سموات بينما
عائشة تجلس بجوارها في الغرفة ولا تكاد تتبين كلامها، فسبحان من
وسع سمعه كل شيء.



وكانت رضى الله عنها فصيحة بليغة أديبة، ونورد هنا فقط إشارات بسيطة لعمق ثقافة السيدة عائشة، فقد روى أنه لما قتل أخوها مُحَمَّد بن أبي بكر في مصر، ترك أولادا صغارا، فأرسلت عائشة أباها عبد الرَّحْمَن (وهو شقيقها الوحيد أمَّا وأبا) إلى مصر فجاء بأبناء أخيه الصغار من مصر، ثم أخذتهم عنه عائشة فربتهم إلى أن كبروا (وكان من ضمن هؤلاء اليتامى القاسم بن محمد بن أبي بكر الذى صار أحد الفقهاء السبعة بعد ذلك وهو ربيب عمته عائشة)، ثم دعت بعد سنين أباها عبد الرَّحْمَن فقالت: يَا عبد الرَّحْمَن لَا تَجِدْ فِي نَفْسِكَ (لا تغضب) من أخذي بني أَخِيكَ دُونِكَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا صَبِيَانَا، فَخَشِيتُ أَنْ تَتَأَفَّفَ بِهِمْ نَسَاؤُكَ، فَكُنْتُ أَلْطَفُ بِهِمْ وَأَصْبِرُ عَلَيْهِمْ، فَخَذَهُمُ الْآنَ إِلَيْكَ، وَكُنْ لَهُمْ كَمَا كَانَ حَجِيَّةُ بنِ الْمَضْرِبِ لبني أَخِيهِ معدان.

وحجبة بن المضرب هذا الذى تستشهد به عائشة في كلامها هو شاعر جاهلي كريم فارس، ذكروا من قصته أنه كان جالسا ذات يوم بفناء بيته فخرجت جارية بقعب مكسور فيه بقايا لبن، فقالت لها: أين تريدان بالقعب؟ فقالت بني أَخِيكَ الْيَتَامَى، فَوَجَمَ وَأَطْرَقَ لَشِدَّةِ الْحُزْنِ لما رأى أبناء أخيه اليتامى يشربون من هذا الإناء المكسور، وأمر من يومه ألا تدخل الأبل عند رجوعها من المرعى إلى بيته قبل أن تذهب أولا إلى

بيت أبناء أخيه اليتامى. فهذا ما قصدته عائشة، وهي تتصح أخاها
عبد الرحمن بحسن رعاية أبناء أخيه محمد.

وبلغ من فصاحة عائشة أن قال الأحنف بن قيس في حقها :

سَمِعْتُ خُطْبَةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعَمْرٍَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَعَثْمَانَ بْنَ
عَفَّانَ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالْخُلَفَاءِ إِلَى يَوْمِي هَذَا، فَمَا سَمِعْتُ
الْكَلَامَ مِنْ فَمٍ مَخْلُوقٍ، أَنْخَمَ، وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ فِي عَائِشَةَ.

والأحنف بن قيس هو سيد قبيلة تميم، وهي من أكبر قبائل العرب،
وكان يضرب به المثل في الحلم، وكان من سؤدده ومكانته في قومه
أن قال عنه معاوية بن أبي سفيان: **هذا الذي إذا غضب غضب له
مئة ألف لا يدرون فيم غضب!!** .



عائشة حبيبة رسول الله

ولم يكن رسول الله ﷺ يخفي حبه لعائشة، بل كان يعلنه أمام الجميع رجالاً ونساء.. فقد سأله يوماً عمرو بن العاص: "أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ فقال بدون تردد: عائشة. قال عمرو: فمن الرجال؟ قال: أبوها". صحيح ابن ماجه

وقال أنس بن مالك:

” أول حب كان في الإسلام حب النبي لعائشة ”

وبهذا الوصف الرائع يمكن تخيل حياة عائشة مع الرسول.

وكان ابن عباس يقول لها: كنت أحب نساء رسول الله إليه، ولم يكن يحب إلا طيباً.

وكان حب رسول الله ﷺ لعائشة من الأمور المعلومة والظاهرة لدى المسلمين جميعاً، الأمر الذي كان يجعل المسلمين في المدينة يتحرّون بهداياهم يوم عائشة؛ قالت عائشة: فاجتمعن صواحيبي إلى أم سلمة، فقلن لها: كَلِمِي رَسُولَ اللَّهِ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فيقول: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ هَدِيَّةً، فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بَيْوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمَّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئاً، وكررت ذلك مرتين، فقال لها: لا تُؤذيني في عائشة، قالت: فقالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله.

صحيح البخاري

ثم أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله. تقول عائشة: فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي (كساء يشبه الشال يمكن لبسه داخل وخارج البيت)، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلتني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وأنا ساكتة، فقال لها رسول الله ﷺ: أي بنية ألسنت تحبين ما أحب؟ فقالت: بلى، قال فأجبت هذه. فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبي، فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله ﷺ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء، فأرجعي إلى رسول الله فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت فاطمة: والله لا أكلّمه فيها أبداً.

قالت عائشة، فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبي (وهي ابنة عمته ﷺ أميمة بنت عبد المطلب)، وهي التي كانت نساميني منهن في المنزلة عند رسول الله، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب. وأنقى لله وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقةً، ما عدا شيء من حدة كانت فيها، سرعان ما كانت تتجاوزها، قالت: فاستأذنت على رسول الله، ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها، فأذن لها رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلتني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي، فاستطالت عليّ (أهانتي)، وأنا أرتب رسول الله، وأرتب طرفه، هل يأذن لي فيها،

قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحِ رَيْنُبٌ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ وَأَخَذَ حَقِي، قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا (أَي لَمْ أَمْلِهَا لِحِظَاتٍ حَتَّى أَنْتَصِرَتْ مِنْهَا فَأَسْكُتُهَا بِأَقْلِ الْكَلِمَاتِ) فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْجَبًا بِفِصَاحَتِهَا وَقَالَ:

إِنهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ. رواه مسلم

وكما كان من الزوج المحب الودود، كانت عائشة أيضا الزوجة المحبة دائما، تقول عائشة: كنت أغزل والنبي يخيظ نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يشع نورا فقلت: ولو رآك أبو كبير الهذلي (شاعر جاهلي كبير) لعلم أنك بشعره أولي حيث يقول:

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسْرَةٍ وَجْهِهِ
بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ فِي يَدِهِ، وَقَامَ إِلَيَّ فَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْي وَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ يَا عَائِشَةُ خَيْرًا مَا سُرِرْتِ مِنِّي كَسُرُورِي مِنْكَ. رواه أبو نعيم في حلية الأولياء



بين الرضا والغضب

ولكن، وكأي حياة زوجية، كان بين النبي وعائشة حالات من الرضا والغضب، فمن ذلك أن أبا بكرٍ استأذنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاولَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ: لَا أَرَاكَ تَرْفَعِينَ صَوْتِكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ. فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْجِرُهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: كَيْفَ رَأَيْتَنِي أَنْقَذْتُكَ مِنَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: فَمَكَتْ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَهُمَا قَدْ اضْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا، كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا!!.. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ فَعَلْنَا، قَدْ فَعَلْنَا. صححه الألباني

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لعائشة: إِنِّي لِأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضَبِي قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضَبِي، قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ. فترد عائشة في ذوق رفيع: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ. رواه البخاري



غيرة عائشة

حين يتأمل الواحد منا حجم العاطفة بين الرسول وبين عائشة فلا شك سيأخذه الإشفاق الشديد على السيدة عائشة، إذ يحق لمثل عائشة أن تغار على مثل سيدنا محمد، وقد عبّرت عن ذلك بقولها له: "وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ" **رواه مسلم**. ومن طريف هذا التأمل أن نعرف أن كل ما روي عن غيرتها رضى الله عنها على رسول الله وأخطائها بسبب الغيرة قد وصل إلينا من خلالها هي نفسها.

فمن ذلك أنه كان عند رسول الله ضيوف وهم في بيت عائشة فعلمت أم المؤمنين صفية وهي إحدى زوجات النبي بذلك فأرسلت طعاما من عندها إلى بيت عائشة، فأخذت عائشة غيرة شديدة لأن السيدة صفية كما وصفتها عائشة نفسها: **ما رأيتُ صانعةً طعامًا مثلَ صفيةَ، فما تماكنت عائشة نفسها من الغيرة فكسرت الطبق أمام الضيوف، فعالج النبي الأمر بحكمة النبوة، فنظر ﷺ لضيوفه فقال: " غارت أمكم ". رواه البخاري**

وفى ذلك حكمة بليغة من رسول الله ﷺ حتى لا يفكر أحد منهم في الامتعاظ من تصرفها فذكرهم أنها أهمهم، وهل يمتعض الرجل من تصرفات أمه؟!، ثم أمرها الرسول أن تكفر عن هذا الخطأ فقال: **إناءٌ كإناءٍ، وطعامٌ كطعامٍ، أي أرسلني إليها بديلا عن طعامها وإنائها.**

وانتهى الأمر بحكمة النبي. وكما يقال: إِنَّ الْعَيْرَى لَا تُبْصِرُ أَسْفَلَ
الْوَادِي مِنْ أَعْلَاهُ.

ومن شدة غيرة عائشة رضى الله عنها أنها كانت تغار من السيدة
خديجة رضى الله عنها، رغم أن خديجة ماتت قبل زواج رسول الله منها
بسنين إلا أن الرسول ﷺ كان يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وكانت عائشة
تقول: مَا غَرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ
وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ
الشَّاةَ يَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا،
فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ خَدِيجَةَ !!، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي قَدْ
رُزِقْتُ حُبَّهَا. رواه مسلم

حتى قالت عائشة له يوما وقد أخذتها غيرة شديدة: كأن لم تكن في
الدنيا امرأة إلا خديجة. وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء
الشدقين (تصفها بأنها عجوز سقطت أسنانها لكبر سنها حتى ظهرت
الحمرة في فكيها)، هلك في الدهر، فأبدلك الله خيرا منها " تقصد
نفسها." فغضب الرسول ﷺ وقال:

**مَا أَبَدَّنِي اللَّهُ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، لَقَدْ آمَنْتَ بِي حِينَ كَفَرَ النَّاسُ،
وَصَدَّقْتَنِي حِينَ كَذَبَنِي النَّاسُ، وَأَشْرَكْتَنِي فِي مَا هِيَ حِينَ
حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا الْوَلَدَ.** مسند الإمام أحمد

فقالت عائشة: وَاللَّهِ لَا أَعَاتِبُكَ فِيهَا بَعْدَ الْيَوْمِ.

حادثة الإفك

هذه القصة وردت في صحيح البخاري وغيره:

تحكى عائشة قصة حادثة الإفك فتقول: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة، حتى إذا فرغ رسول الله من غزوته تلك وأذن ليلة بالرحيل، فقممت أقضى حاجة فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رجلي، فلمست صدري، فإذا عهد لي قد انقطع، فرجعت فالتمست عهدي فحبسني ابتغاه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني، فاحتملوا هودجهم فرحلوه على بعيري، وهم يحسبون أنني فيه، ووجدت عهدي بعد ما سار الجيش، فحنت منازلهم وليس بها منهم داع ولا موجب، فتيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي، غلبتني عيني فنامت، وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش، فعرفني حين رأي، فاستيقظت باسترجاعه (أي قوله إنا لله وإنا إليه راجعون)، فغطيت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، فأناخ راحلته فركبناها، فأنطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش فهلك من هلك، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول.

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمت شهرا، والناس يفيضون في قول الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، ولا أعرف من رسول

اللَّهِ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتُكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيَسْلِمُ، ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تَيْكُم، ثُمَّ يَنْصَرِفُ.

تقول عائشة: فلما علمت بالأمر ازددت مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بِنْتِيَّةُ، هَوْنِي عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوْ قَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ.

ثم دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيِّرْكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَّتِ بَدَنٍ، فَاسْتَعْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَحِبَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ، فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَحْبَبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ أُمِّي: وَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ كَثِيرًا:

لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ، فَلَنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، لَا تَصَدِّقُونِي، وَلَنْ اعْتَرَفْتُ

لَكُمْ بِأَمْرِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، لَتَصَدَّقَنِي، فَوَاللَّهِ لَا
أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مِثْلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانَ عَلَى مَا تَصِفُونَ.

تقول عائشة: والله ما كنتُ أظنُّ أنَّ اللهَ مُنْزِلٌ في شَأْنِي وَحِيًّا يُتْلَى،
وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللهُ بِهَا، فَوَاللَّهِ
مَا غَادَرَ رَسُولُ اللَّهِ مَجْلِسَهُ، حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِآيَاتِ سُورَةِ النُّورِ
الَّتِي بَدَأَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ
شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى
كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾. قَالَتْ: فَسَرَّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ:

أبشري يا عائشة.. أما الله فقد برك

فقال لي أبوأي: قومي إلى رسول الله فقلت:

**والله لا أقوم إليه، ولا أحمدُه، ولا أحمِدُكُما، ولكني أحمِدُ اللهَ
الذي أنزل براءتي.”**

وانقضى فصل رهيب في حياة السيدة عائشة تحملته صابرة راضية
بقضاء الله مؤملة فيه وحده سبحانه. لتعطي الدرس لكل مبتلى أن
الرجاء والفرج هو من عند الله وحده.

وللأسف، كان ممن وقع في القبول فيها في هذه الحادثة حسان بن ثابت الشاعر المعروف بدفاعه عن رسول الله ﷺ، ثم ندم أشد الندم بعد ذلك، ودخل يوما على عائشة فأنشدها قصيدة اعتذاره التي يقول في مطلعها:

حَصَانُ رَزَانٍ مَا تُرْزَنُ بِرَبِيَّةٍ وَتُصْبِحُ عَرَثِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ

ومعنى تُرْزَنُ أي لا تُتَّهَمُ، ومعنى عَرَثِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ أي تصبح جائعة من عدم أكل لحم الناس في غيابتهم والوقوع في أعراضهم، فقالت عائشة بأدب وحسرة عليه: لَكِنَّكَ لَسَتْ كَذَلِكَ (تقصد أنه وقع في عرضها). قَالَ مَسْرُوقٌ (مولى عائشة): فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَأْذِنِينَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ فَقَالَتْ: وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى؟ ثم قالت له مبررة سماحها له بالدخول وصفحها عنه:

إِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رواه البخاري

فعائشة العظيمة تتسامح معه وهو الذي خاض في عرضها من أجل ماضيه في الدفاع عن رسول الله ﷺ ومن أجل ندمه أيضا خاصة بعد أن ابتلاه الله بالعمى آخر حياته ، وهذه الرواية تعطيك صورة واضحة عن نقاء سريرة السيدة عائشة وسمو خلقها.

حُكْمُ الْإِسْلَامِ فِي مَنْ سَبَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ

أَجْمَعَ علماءُ الإسلامِ قاطبةً مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَرَمَاهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَرُويَ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ جُلِدَ، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ، قِيلَ لَهُ: لِمَ يَقْتُلُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ مَالِكٌ: مَنْ رَمَاهَا فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ، وَمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ قُتِلَ.

قال الإمام ابنُ حزمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قولُ مالكٍ هذا صحيحٌ، وهي رِدَّةٌ تامةٌ، وتكذيبٌ لله تعالى في قَطْعِهِ ببراءتها. وقال الإمامُ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: براءةُ عائشة رضى الله عنها مِنَ الْإِفْكَ، براءةٌ قطعيةٌ بنصِّ القرآن العزيز، فلو تَشَكَّكَ فِيهَا إِنْسَانٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - صارَ كافرًا مرتدًا بإجماع المسلمين.



سَلَامٌ

هل كان هناك عداوة بين عائشة وعلي؟

تمتلئ للأسف المراجع التاريخية بروايات عقيمة تؤكد على وجود عداوة كبيرة بين السيدة عائشة والإمام علي، وبعض هذه الروايات أحقر من أن يرد عليها لفضوح كذبها، كالروايات التي تبرر تلك العداوة المزعومة بسبب الغيرة بين فاطمة وعائشة لأن عائشة لم ترزق بأولاد مثل فاطمة، أو أن عائشة تسببت في منع انتقال الخلافة لعلي وسهلت نقلها لأبيها، إلى غير ذلك من التفاهات التي لا تحتاج لرد.

لكن، والحق يقال، أرى أنه كان بين السيدة عائشة والإمام علي نوع من العتاب وليس نوع من العداوة، وفي ظني أن السبب يرجع إلى موقف الإمام علي في حادثة الإفك، فإنه لما تأخر نزول الوحي في تبيان ما حدث، تقول السيدة عائشة **في رواية البخاري**: فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ: لَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيَّكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدِّقُكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: أَيُّ بَرِيرَةَ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ؟ قَالَتْ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَعْمِصُهُ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرْنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ

أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا. باختصار من صحيح

البخاري

وكان موقف علي في هذه المشورة مناسباً لطبيعة أقارب الزوج في مثل هذه الأحوال، فقد فضل ما ظن أن فيه مصلحة النبي حتى لو كان ذلك على حساب عائشة. وموقفه هذا موقف إنساني قد يختلف الناس في تفسيره وتبريره وقبوله أو رفضه، لكن لن يختلفوا في أن علي لم يسيء إلى السيدة عائشة ولم يتهمها بسوء، هو فقط أراد بطريقته أن يريح النبي من هذا الغم والهم الشديد دون أن يتهم عائشة بشيء.

ولكن عائشة، وبالتأكيد، كانت تتوقع منه أفضل من ذلك، وكانت تتوقع منه شهادة واضحة في حقها، على الأقل كما دافع أسامة بن زيد. أو كما دافع عمر وهو والد حفصة إحدى زوجات النبي المنافسات لعائشة في المكانة فإن عمر لما رأى حزن النبي وقت هذه الأحداث، جاء فسأل النبي فقال: من زوجها لك يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: الله. قال عمر: أفتظن أن الله دلّس عليك فيها!!، يقصد أن الله الذي اختارها لك، ولا يمكن أن يختار لك إلا طاهرة مطهرة. وغير ذلك من الشهادات من الصحابة، ولذلك نقول أنه كان في قلب عائشة نوع من العتاب نحو الإمام علي، وليس نوع من العداوة.

ولعل أصدق رد على من زعموا بوجود عداوة بينهما تلك الرواية في الطبري التي تصف ما حدث بعد انتهاء معركة الجمل: ففي يوم رحيلها (رحيل عائشة) جاءها علي، ومعه وجهاء الناس، فخرجت عائشة

عليهم، وودعوها، وودعتهم، وقالت: يا بني، تَعْتَبُ بعضنا على بعض
(أي كان بيننا نوع من العتاب)، إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في
القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها (أقارب الزوج)

وإنه على معتبتي له لمن الأخيار.

وقال عليّ:

**أيها الناس، صدقت والله وبرّت، ما كان بيني وبينها إلا ما
قالت، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة.**

وهذا هو القول الفصل في هذه العلاقة التي شابها بعض ما يكون بين
المرأة وأقارب زوجها، وليس أكثر من ذلك.



بيت عائشة

عاشت عائشة رضى الله عنها مع رسول الله ﷺ في تناغم وحب ومودة ، في منزل من حجرة واحدة مبنية من جريد النخل مستورة بشعر الغنم، ويمكن للداخل أن يلمس سقفها بيده!!!.

وقد أوضحت عائشة تواضع حال هذه الحجرة وهى تصف كيف كان ﷺ يقوم من الليل يصلى في الظلمة وعائشة نائمة أمامه. تقول عائشة: كُنْتُ أَنَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِجَالِي فِي قِبْلَتِهِ، فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي (بسبب ضيق المكان)، فَقَبَضْتُ رِجْلِي، فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا، قَالَتْ: وَالْبَيْوْتُ يَوْمَئِذٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحُ. رواه البخاري.

وكان التابعى الجليل سعيد بن المسيب من أشد المعارضين لتوسعة المسجد النبوى زمن الوليد بن عبد الملك من خلال هدم حجرات نساء النبي وكان يرى أنه يجب تركها على حالها ليرى الناس كيف كان يعيش النبي وأزواجه ومفاتيح الدنيا بيديه.

ودفن النبي ﷺ في حجرة عائشة، وكانت رضى الله عنها قد رأت في منامها كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتها. قال أبو بكر: يَا عَائِشَةُ، إِنْ تَصَدَّقِ رُؤْيَاكَ يُدْفَنُ فِي بَيْتِكَ خَيْرٌ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةً، فلما مات النبي قال لها أبو بكر: يَا عَائِشَةُ، هَذَا خَيْرٌ أَقْمَارِكِ الْمُسْتَدْرِكِ عَلَى الصَّحِيحِينَ. ثم دفن أبو بكر وعمر وسقطت في حجرتها الأقمار الثلاثة.

عائشة الزاهدة

وكانت أم المؤمنين عائشة زاهدةً في الدنيا، والروايات الواردة في سعة إنفاقها كثيرة، فقد كان الخلفاء وكبار الصحابة يتنافسون في إكرام أمهات المؤمنين، وعلى رأسهم عائشة، فكان يأتيها مال وفير، لكنها سرعان ما كانت تتصدق به، حتى أنها تصدّقت يوماً بسبعين ألفاً؛ وإنّها لتُرَقِّع جلبابها.

ولما بعث عبد الله بن الزبير إلى خالته عائشة بمالٍ كثير يزيد عن مائة ألف، دَعَتْ بطَبَق، فجعلت تقسم المال في الناس بالطبق دون عد، فلمّا أصبحت، قالت لجاريتها: هاتي فطوري، فقالت الجارية: يا أم المؤمنين، أمّا استطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهم من هذا المال؟! قالت: لا تُعَنِّفيني، لو ذكرتني لفعلتُ.

وتشعر ببساطة السيدة عائشة وعفويتها في الرد، فهي لا تدعى الزهد المطلق، لكنها فقط "نسيت" أن تشتري لنفسها ولجارتها لحماً بدرهم من المائة ألف درهم!!.



وفاة عائشة

نالت السيدة عائشة شرف خدمة النبي ﷺ وتمريضه في أيامه الأخيرة، فمات رسول الله ﷺ ورأسه على صدرها.. وكان آخر شيء دخل جوفه هو ريقها رضى الله عنها، فإنه أحب أن يتسوك وكان السواك شديدا فقالت: ألينه لك؟ فأشار برأسه نعم، فلينته بريقها ووضعته في فمه. ثم عاشت أم المؤمنين بعد رسول الله ما يقرب من نصف قرن، كانت فيها المعلمة والفقيرة والراوية لحديث رسول الله.

وكانت أم المؤمنين كثيرة الصيام، فقد كانت تقريبا تصوم الدهر، ولذا فقد ضعفت صحتها لاسيما في أواخر أيامها، حتى توفيت رضى الله عنها في السابع عشر من رمضان سنة 58هـ في خلافة معاوية.

ودفنت رضى الله عنها في نفس الليلة التي ماتت فيها، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها خمسة من أبناء أختها: عبد الله وعروة ابنا الزبير (ابنا أختها أسماء بنت أبي بكر)، والقاسم بن أخيها محمد بن أبي بكر (وهو من نشأ يتيما في حجرها وورث علمها فكان فقيه المدينة)، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهم أجمعين. ونزل أهل العوالي وجاء أهل الأماكن البعيدة ليشهدوا جنازتها، فلم تر ليلة أكثر ناسا منها.. كيف لا.. وهم يودعون أمهم أم المؤمنين حبيبة رسول الله وزوجته في الدنيا والآخرة.